الدلالة عند تمّام حسّان قراءة في الفصل الثامن من كتاب اللغة العربية معناها ومبناها

Significance at the completion of Hassan Reading in the eighth chapter of the Arabic language book, its meaning and structure

سمير معزوزن

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف

ميلة الجزائر

Email : samirmazouzen@yahoo.fr

عبد الحليم معزوز *

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف

ميلة الجزائر

Email : a.mazouz@centre-univ-mila.dz

تاريخ الإرسال:20-04 -2020 تاريخ القبول:22-10 -2020

ملخص:

الملخص: تتجلى للباحث في اللسانيات العربية الجهود اللسانية المتميزة لتمّام حسّان من خلال المنهج الوصفي التقريري، إذ يعدّ من أبرز اللسانيين العرب الذين قدّموا تصوّرا خاصّا في دراسة اللغة العربية، معتمدا في ذلك على ثقافته المزدوجة بين تمكّن في التراث اللغوي العربي، وتكوين متميّز في اللسانيات الحديثة، الأمر الذي أهّله لأن يكون صاحب نظرية لسانية يسعى من خلالها إلى إعادة وصف اللغة العربية من وجهة نظر الدرس اللساني الحديث.

ويعتمد تمّام حسّان في ذلك على النظر في اللسان العربي من خلال مستويات التحليل، وعلى ذلك بنى كتابه الشهير (اللغة العربية معناها ومبناها)، فقد قسّم فصوله حسب تدرج المستويات اللسانية من الأصوات وصولا إلى الدلالة عبورا بالصرف والنحو والمعجم.

* المؤلف المرسل

نحاول في هذا البحث إبراز الآراء الفريدة لتمّام حسّان في علم الدلالة، من خلال استعراض المباحث اللسانية التي عرضها في الفصل الثامن من كتاب اللغة العربية.

الكلمات المفتاح : تمّام حسّان؛ اللغة العربية؛ القضايا اللسانية؛ الدلالة؛ المعنى؛ المعجم.

Abstract:

Abstract: It is clear to any researcher in Arabic linguistics to show the distinguished linguistic efforts of Tammam Hassan through the descriptive method, since he is considered one of the most eminent Arab linguists who presented a particular perception in the study of the Arabic language, relying in this on its double culture between a perfect knowledge of the Arab linguistic heritage, and a distinct training in modern linguistics. This allowed him to own a linguistic theory through which he seeks to redesign the Arabic language from the point of view of modern linguistics.

In this, Tamam Hassan relies on reading the Arabic language through the levels of analysis, and on this he built his famous book (Arabic language, its meaning and form), so he divided his chapters according to the hierarchy of linguistic levels of phonemes, meaning, morphology, grammar and lexicon.

From there, we try in this research to highlight the unique opinions of Tammam Hassan in semantics, through a review of the linguistic questions that he presented in the eighth chapter of the book Arabic language, through discussions and analyzes.

Keywords: Tammam Hassan; Arabic language; linguistic issues; semantics; meaning; lexicon.

- توطئة :

تعد أعمال تمام حسّان بتعددها وتنوعها بين مؤلفات ومقالات وبحوث، وحتى ترجمات، حاملة نظرية لسانية متكاملة ورائدة في الدرس اللساني العربي الحديث. فهو كما يقول:" صاحب أجرأ محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجري بعد سيبويه وعبد القاهر"[1]، فقد استطاع تمام حسان أن يضيف للدرس اللساني العربي جدّة غير معهودة، ويورد أفكارا غير مسبوق إليها، وأن يحرك البحث اللغوي بوضعه قاعدة منهجية لكل محاولة في هذا الصدد. فلم تكن " نظريات الدكتور تمام ونظراته في اللغة من ذلك النوع الهادئ العابر الذي يعلن على الملأ فيمر مرور الكرام، ويقف عند هذا الحد وكفى، بل كانت تبعث في العقل اللغوي فضل تأمل، وإعمال نظر، وطول تدبر"[2].

وقد تحقق له كل ذلك بفضل تنوع وتعدد مشاربه ومرجعياته الفكرية، فقد خبر التراث العربي وتزود منه، وتشبع من منابعه الأصيلة، كما عاصر النظريات والمناهج اللغوية الحديثة التي ميزت فترة الخمسينيات من القرن الماضي، حيث تتلمذ على يدي أحد رواد هذه المدارس الغربية، وهو العالم الإنجليزي ورائد مدرسة لندن(المدرسة الاجتماعية البريطانية)، فيرث J.R. Firth، كما اطلع على أحدث النظريات التي تلت هذه الفترة، والمتمثلة في أفكار اللغوي الأمريكي تشومسكي N. Chomsky من خلال نظريته التوليدية التحويلية، فكان بحق مزاوجا بين التراث والحداثة ، وكانت آراؤه تستمد أصالتها من جذور التراث العريق ، وتساير الحداثة من خلال النظريات الحديثة في دراسة اللغة. فاستطاع أن يقلص، بجهوده، الهوة بين الدرس اللساني الغربي ونظيره العربي.

وقد تميزت أعماله ومقالاته وبحوثه بأن أيّا منها لا يخلو من جديد في مجال الدراسات اللغوية، حيث إنها تضفي نوعا من الجدة و القدرة على الإنتاج الفكري المتجدد، و لذلك عدت من أهم المراجع التي يعتمد عليها كل باحث يلج ميدان البحث في اللغة، فلم تخل أعماله من الإشارة إلى إسهامات تمام حسان في هذا المجال. ومن أجل ذلك كانت مؤلفاته موضوعا

[1] تمام حسان (1978م)، إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا ، ضمن أعمال ندوة اللسانيات واللغة العربية، تونس: مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، ص 145- 174.

[2] عبد الرحمان حسن العارف (2002م)، تمام حسان رائدا لغويا، الطبعة الأولى، القاهرة: عالم الكتب، ص 8.

للدراسة، ونجد ذلك في كثير من المؤلفات والبحوث الأكاديمية التي تتناول الجهود العربية في الميدان اللغوي، نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر، (العربية وعلم اللغة الحديث) لحلمي خليل، (نشأة الدرس العربي الحديث) لفاطمة الهاشمي بكوش،(اللسانيات العربية الحديثة) لمصطفى غلفان. و تناولها باحثون آخرون من خلال بحوث أكاديمية، كما خصصت لها مقالات في المجلات العلمية في العالم العربي؛ مثل حوليات الجامعة التونسية، مجلة " عالم الكتب " السعودية و مجلة مجمع اللغة العربية الأردني.

1 المعنى في الدرس اللغوي العربي القديم:

في تقديمه لكتاب(اللغة العربية معناها ومبناها)، يصرح تمّام حسان علانية أن موضوع كتابه ينبغي أن يختص بالمعنى لأن "كل دراسة لغوية- لا في الفصحى فقط بل في كل لغة من لغات العالم لابد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة، فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة وهو العرف وهو صلة المبنى بالمعنى، وهذا النوع من النظر إلى المشكلة يمتد من الأصوات إلى الصرف إلى النحو إلى المعجم إلى الدلالة"[1]. ويتفق تناول تمّام حسان فيما يخص قضية المعنى، في إعادة قراءته للتراث –في المبدأ- بما أسفر عنه هذا التراث نفسه من خلال عبارة ابن جني: "الإبانة عن المعاني بالألفاظ"[2].

عند مطالعة مقدمة كتاب (اللغة العربية)، نجد أن صاحبه يتحدث فيها عن الإسهامات العربية والغربية في مجال الدراسات اللغوية، وعن مدى اهتمامها بقضية المعنى. ففيما يخص الدراسات العربية فقد أقر بأنه لم يكتب لها أن تنمو فيما بعد القرن الخامس الهجري، فقد كان كل جهد بعد تلك الفترة يصنف إما ضمن الشروح وإما في سبيل التعليق وإما تحقيقا وتصويبا لما كان قبل ذلك. وقد علل سبب تراجع الإنتاج العربي إلى العنصر التركي الذي سيطر على الساحة السياسية واستبداده بأمر الخلافة وضيق أفقه في الفكر وقلة حماسته للعلم، حتى انتهى الأمر إلى ما سموه بإقفال باب الاجتهاد. فلم "تعد البصرة والكوفة

[1] تمام حسان (1998م)، اللغة العربية معناها ومبناها، الطبعة الثالثة القاهرة: عالم الكتب، ص 9.

[2] أبو الفتح عثمان بن جني (دت)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج1، القاهرة: دار الكتب المصرية، ص 16.

وبغداد ومكة والمدينة والقاهرة ودمشق والقيروان من عواصم الابتكار في الخلافة تنبض بالحياة كما كانت في أيامها الخوالي حين كان العلماء في كل فرع من فروع الدراسة سدنة على الفكر الخلاّق"[1].

يشير تمّام حسان أن ظروف نشأة هذه الدراسات والتي تتمثل في علاج ظاهرة كان يخشى منها على اللغة وعلى القرآن، وهي ما يسمى "ذيوع اللحن" كانت العامل الرئيس في تحديد مسار هذه الدراسات وفلسفة منهجها.

ولكننا نجده يتوسع في مفهوم "اللحن"، حيث إنه يضيف إلى أصل تسمية هذه الظاهرة في إشارتها إلى الخطأ في ضبط أواخر الكلمات وإعطائها العلامات الإعرابية الملائمة، جوانب أخرى تتعلق بها، فكان يغلب على ظنه كما يقول، إن ما أسموه لحنا كان يصدق على أخطاء صوتية، وصرفية، ونحوية، ومعجمية، حيث كان يؤكد تصوره هذا بالتمثيل لكل جانب من هذه الجوانب التي يقع فيها الخطأ وتصدق عليها ظاهرة "اللحن"، ليصرح في الأخير أنها أخطاء في المبنى حتى ولو أدت في النهاية إلى خطأ في المعنى لم يكن نتيجة في القصد. وهذا ما قاده إلى الحكم على الدراسات اللغوية العربية بأنها اتسمت "بسمة الاتجاه إلى المبنى أساسا ولم يكن قصدها إلى المعنى إلا تبعا لذلك وعلى استحياء"[2]. فكون قضية المعنى في التناول العربي هامشية قد ميّز جميع نواحي الدراسات اللغوية وجميع فروعها، حتى تلك التي توحي من خلال تسميتها بأن موضوعها الأول والأخير هو "المعنى"، ونقصد من ذلك (علم المعاني)، فحسب تمّام حسان، أنه عندما " قامت دراسة "علم المعاني" في مرحلة متأخرة عن ذلك في تاريخ الثقافة العربية كانت طلائع القول في هذه الدراسة كما كانت في بداية دراسة النحو من قبلها تناولا للمبنى المستعمل على مستوى الجملة لكن لا على مستوى الجزء التحليلي كما في الصرف ولا على مستوى الباب المفرد كما في النحو"[3]. وحكم على جهود عبد القاهر الجرجاني ضمن دلائل الإعجاز بأنها تتصل بالتراكيب أكثر من اتصالها بالمعاني المفردة.

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 11.

[2] المصدر نفسه، ص 12.

[3] المصدر نفسه، ص 12.

وليؤكد تمّام حسان زعمه هذا، تطرق إلى استعراض طابع منهج النحاة وطابع منهج البلاغيين، ثم نظر في صلتهما ببعض، كما تطرق إلى منهج المعجميين، وهدفه من هذا كما يقول، هو تقويم الدراسات العربية من حيث صلاحيتها للكشف عن المعنى.

ففيما يخص منهج النحاة، فقد لاحظ تمّام حسان أنه كان تعليميا لا علميا، وقد عزا ذلك إلى الظروف التي نشأ فيها النحو، وكذلك الغاية التي من أجلها قامت الدراسة النحوية وهي «ضبط اللغة وإيجاد الأداة التي تعصم اللاحنين من الخطأ». فهذه الظروف و الغايات التي من أجلها نشأ النحو العربي فرضت عليه أن يكون نحوا معياريا لا نحوا وصفيا، ومما استدل به الدكتور تمّام على تأكيد موقف النحو العربي من الناحية المعيارية، قول ابن مالك في ألفيته:

فَمَا أَبِيحَ افْعَلْ وَدَعْ مَا لَمْ يُبَحْ

ومما لاحظه تمّام حسان أيضا أن النحاة، كما هو معروف، قد "درسوا لهجات متعددة ليستخرجوا منها نظاما نحويا موحدا، وأنهم فوق ذلك درسوا هذه اللهجات في أطوار متعددة من نموها، فلم يفطنوا إلى ضرورة الفصل بين مرحلة ومرحلة أخرى من تطور اللغة كما فعل أصحاب تاريخ الأدب(...)، ولكن النحاة أخذوا شواهدهم من فترة لغوية دامت أكثر من خمسة قرون كاملة"[1]. والنحاة بعملهم هذا جانبوا شرطين أساسيين في المنهج الوصفي لا بد أن يتوفرا في موضوع الدراسة وهما:

1- أن يتناول لهجة واحدة من لهجات لغة ما، فلا يخلط في دراستها بينها وبين لهجة أخرى من اللغة نفسها.

2- أن يعنى في هذه الدراسة الوصفية بمرحلة زمنية واحدة من مراحل تطور هذه اللهجة.

وكان تعليق الدكتور تمّام على اقتصار النحاة في نقلهم للغة العربية على قبائل معينة دون غيرها، أنه كان نتيجة لمعيار وضعوه لأنفسهم، وأن ذلك أثّر في " المعنى النحوي والصرفي سواء

[1] تمام حسان (1998م)، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 15.

ما كان من ذلك متصلا بالرواية أو بالاستشهاد أو بالسماع والقياس أو بالتمرينات القياسية التي كانت تأخذ صورة تراكيب لم تسمع عن العرب أو بموقفهم من التصويب والتخطئة"[1].

2 الدلالة من خلال مستويات اللغة:

رغم أن علم الدلالة قد توصل حديثا إلى الاستقلال بمادة دراسته وبالمتخصصين في البحث في مجالاته وإجراءاته ومدونته، إلا أن كونه غاية الدراسات اللغوية، وكونه فرعا من فروع علم اللغة، جعل له علاقة وثيقة مع فروع علم اللغة الأخرى يؤثر فيها ويتأثر بها، وبما أن المنهج العلمي في دراسة اللغة يقتضي البدء بالوحدات الصغرى للكلام ويتدرج إلى الأكبر فالأكبر. فتبدأ الدراسة اللغوية بالتطرق إلى الجانب الصوتي ويتكفل بذلك علم الأصوات la phonétique ثم علم التشكيل الصوتي la phonologie الذي يتناول الأصوات اللغوية داخل البنى اللغوية وعلاقتها بما قبلها وما بعدها من الأصوات، وكذا تتدرج الدراسة لتصل إلى النظر في الأصوات وهي منتظمة في مقاطع ومصاغة في قوالب، ويعنى بها علم الصرف la morphologie ، الذي يتطرق إلى الوحدات الصرفية وأنواعها ومعانيها ووظائفها، ثم تنتقل الدراسة إلى تناول الكلمات وهي منتظمة في جمل مفيدة وتراكيب متناسقة، ويهتم بها علم التراكيب la syntaxe فيتناول القوانين المتحكمة في الكلمات داخل الجمل، ويدرس الجمل من حيث أنواعها وعلاقة بعضها ببعض. لكن كون اللغة رموزا لمعان و أفكار، وليست فقط أفكارا مجردة ولا مقاطع أو كلمات تنطق في فراغ، فقد اعتمد على علم الدلالة لدراسة هذه الرموز[2].

ومن هنا فلا يمكننا فصل علم الدلالة عن غيره من علوم اللغة، بل لا يمكن فصل أي فرع عن باقي الفروع إلا لأغراض الدراسة والتحليل، ولذلك اتجهت الدراسة في هذا الصدد إلى تناول الدلالة من خلال هذه الفروع أو المستويات.

1.2 الدلالة الصوتية:

فأما الدلالة الصوتية فتتضح من خلال علاقة علم الدلالة بعلمي الأصوات والتشكيل الصوتي، فملاحظة الجانب الصوتي تؤدي إلى استخلاص هذه الدلالة؛ وهي تتمثل في اختلاف

[1] المصدر نفسه، ص 15.

[2] ينظر: محمد سعد محمد (2002م)، في علم الدلالة، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ص 17.

المعنى بين كلمة وأخرى نتيجة لوضع صوت فيها مكان صوت آخر أو لاختلاف صوتي بينهما ، حتى ولو كان اختلافا دقيقا، مثل: أقصى وأقسى؛ فإن ترقيق الصاد أو تفخيم السين يؤدي إلى اللبس واختلاف الفهم. وكذلك: القضم والخضم؛ فجعلت الكلمة الأولى للدلالة على الشديد الصلب لارتباطه بصفة القاف المجهور الشديد، أما الثانية فجعلت للين الرطب استنادا إلى صفة الخاء المهموس. وكذا لما لظاهرتي النبر والتنغيم من أثر في دلالة الكلمات؛ فمثال تأثير ظاهرة النبر، كلمة (شهراب)، فإن كان النبر على الهمزة كان معناها شهر آب أي أوت، أما إن لم يحدث النبر كانت الكلمة اسم علم. أما التنغيم، فملاحظة كلمة (جزاؤه) من قوله تعالى: ﴿***قَالُواْ جَزَاءُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَالِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ***﴾ يوسف: ٧٥.

- فجزاؤه الأولى تتحدد دلالة جملتها من تنغيمها بنغمة الاستفهام.
- وجزاؤه الثانية فإن دلالة جملتها تتحدد من تنغيمها بنغمة التوكيد.
- أما جزاؤه الثالثة فإن دلالة جملتها تتحدد بتنغيمها بنغمة التقرير[1].

وهذا ما نجده أيضا عند تمام حسان عند تعرضه للأصوات في الفصل الثاني من كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها"؛ فقد جعل من هذه الملامح تميز الكلام المنطوق عن المكتوب، فجعل اعتماد الكلام المنطوق على المخارج والصفات تعدد أسس الاختلاف بين الأصوات المنطوقة، فبفضلها ولما بينها وما في خلالها من مقابلات أو قيم خلافية كانت منطلقا للسعي إلى إنشاء نظام صوتي تستخدم فيه هذه القيم الخلافية بين المخارج وبين الصفات، كالتفخيم والترقيق والشدة والهمس، بخلاف الحركات الكتابية التي لا تتعدد فيها الأسس على هذا النحو ولذلك افتقر النظام الكتابي إلى التركيب والتنوع .

أما عن ظاهرتي النبر والتنغيم، فقد جعل لهما تمّام حسان دورا أساسيا ضمن النظام الصوتي؛ فكونها تنتمي إلى الكلام المنطوق تجعل منه أقدر على كشف ظلال المعنى ودقائقه أكثر من الكلام المكتوب الذي لم يستطع تجسيد هاتين الظاهرتين كتابيا بشكل دقيق، مع أنه حاول أن يستعيض عن التنغيم بالترقيم ولكنه لم يحاول تعويض النبر بأي رمز

[1] ينظر: خليفة بوجادي (2012م) ، محاضرات في علم الدلالة، الطبعة الثانية، العلمة-الجزائر: بيت الحكمة، ص 37.

كتابي[1]. وبذلك يكون الكلام المنطوق بتكونه من هذه الملامح التي لها أثر عميق في المعنى " مقدمة لا بد منها لدراسة الأنظمة (القواعد) اللغوية أو بعبارة أخرى لدراسة اللغة نفسها. وأصبح علم الأصوات تمهيدا بالملاحظة الحسية لإنشاء علم الصوتيات الذي هو تخطيط عقلي لقواعد الأصوات بناء على هذه الملاحظة الحسية"[2].

2. 2 الدلالة الصرفية:

وهي تتحدد من خلال علاقة علم الدلالة بعلم الصرف، والتي تظهر من اختلاف الصيغ، أو اختلاف المورفيمات السابقة واللاحقة؛ ف(الطالب) مثلا غير(الطالبة) لأن التاء مورفيم تأنيث، و (كتاب) غير (الكتاب) لأن الألف واللام مورفيم تعريف[3]. وكذلك الأمر عند دراسة التركيب الصرفي للكلمة والذي يؤدي إلى بيان المعنى، " فلا يكفي لبيان معنى "استغفر" أن نكشف عن معناها في المعجم، وأن نبين أن مادتها "غفر" بل لابد أن نضم إلى ذلك معنى الصيغة وهي هنا على وزن استفعل، والصرفيون يؤكدون أن ما زيد بالهمزة والسين والتاء يدل على الطلب، وهذا يضيف إلى المعنى المعجمي معنى آخر أكثر واقعية ووضوحا"[4]. فكلمة (كذّاب) أقوى في الدلالة من كلمة (كاذب) «لأن الأولى جاءت على صيغة يجمع اللغويون القدماء على أنها تفيد المبالغة، فكلمة "كذّاب" تزيد في دلالتها على كلمة "كاذب" وقد استمدت هذه الزيادة من تلك الصيغة المعينة، فاستعمال كلمة "كذّاب" يمد السامع بقدر من الدلالة لم يكن ليصل إليه أو يتصوره لو أن المتكلم استعمل "كاذب"»[5].

ونلمح هذه العلاقة أيضا من خلال عرض صاحب "اللغة العربية" للنظام الصرفي، وهو عرض مطول كون الفصل الرابع والذي يدور حول النظام الصرفي هو الأضخم في الكتاب.

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 46-47.

[2] نفسه، ص 47.

[3] محمد سعد محمد، في علم الدلالة، ص 18.

[4] رجب عبد الجواد إبراهيم (2001م)، دراسات في الدلالة والعجم، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص 17.

[5] إبراهيم أنيس (1980م) ، دلالة الألفاظ، الطبعة الرابعة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص 47.

يبدأ تمّام حسان حديثه عن الجانب الصرفي في الكتاب بتبيان كيف يتألف النظام الصرفي، ويذكر أنه ينبني على ثلاث دعائم هامة هي[1]:

- مجموعة من المعاني الصرفية التي يرجع بعضها إلى تقسيم الكلم ويعود بعضها الآخر إلى تصريف الصيغ.
- طائفة من المباني بعضها صيغ مجردة وبعضها لواصق وبعضها زوائد وبعضها مباني أدوات.
- طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية وهي وجوه الارتباط بين المباني وطائفة أخرى من القيم الخلافية أو المقابلات وهي وجوه الاختلاف بين هذه المباني.

ويستعمل تمّام حسان مصطلح "المباني الصرفية" ليدل به على مصطلح(morphème) ويقول إنها "تعتبر من المعاني الصرفية الوظيفية التي أشرنا إليها وأن هذه المباني نفسها أبواب تندرج تحتها علامات تتحقق المباني بوساطتها لتدل بدورها على المعاني"[2].

فهو يجعل المعاني الصرفية والمباني منتمية إلى اللغة في حين تنتمي العلامات المنطوقة والمكتوبة إلى الكلام. ويضيف تمّام حسان إلى هذا المصطلح، للدلالة على المعاني الصرفية الوظيفية في بيان طبيعة هذه المورفيمات، مصطلح "مباني التقسيم" وهي التي تندرج تحتها الصيغ الصرفية المختلفة التي ينصب في قالبها كل قسم من أقسام الكلام، فكل الصيغ الصرفية التي للأسماء بأنواعها والصفات والأفعال تعد في هذه الأقسام، ويلحق بذلك الضمائر وأسماء الإشارة والموصولات والظروف والخواف والأدوات. كما ينضاف إلى هذه المورفيمات "معاني التصريف" والتي تندرج تحتها أوجه الاتفاق بين المباني وأوجه الاختلاف بينها، أي العلاقات والمقابلات، "ففي داخل المطاوعة نجد صيغة الفعل كانفعل وينفعل وانفعل ونجد صيغة الاسم كانفعال فتكون المطاوعة علاقة تربط بين كل هذه الصيغ ولكن اللغة تعمد عند اتفاق المباني إلى إيجاد أنواع المقابلات بينها فيكون إيجاد المقابلات بواسطة مباني التصريف فتسند الأفعال إسنادات مختلفة بحسب التكلم والخطاب والغيبة وبحسب الإفراد والتثنية والجمع وبحسب التذكير والتأنيث والتعريف والتنكير؛ فتكون معاني

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 82.

[2] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 82.

التصريف على هذا مجالا للقيم الخلافية التي تفترق الصيغ على أساسها"[1]، ويردف الدكتور تمّام ذلك بجدول تمثلت فيه المورفيمات المختلفة للغة العربية موزعة وفق هذه التقسيمات[2].

وعند حديثه عن أقسام الكلم في كتابه، تطرق تمّام حسان إلى مناقشة التقسيم الثلاثي الذي توصل إليه النحاة، والمتجلي في قول ابن مالك: **وَاسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِم**

وقد لاحظ تمّام حسان أنهم قد فرقوا بين أقسام الكلم إما من حيث المبنى فقط كما يتضح من أبيات ابن مالك: ***بِالْجَرِّ، وَالتَّنْوِينِ، وَالنِّدا، وَأل وَمُسْنَدٍ- للاسْمِ تَمْيِيزٌ حَصَل***

بِتَا فَعَلْتَ وَأَتَتْ وَيَا افْعَلِي وَنُونِ أقْبِلَنَّ فِعْلٌ يَنْجَلِي

سِوَاهُمَا الْحَرْفُ كـ"هَل" و"فِي" و"لَم". .....[3]

وإما من حيث المعنى فقط، وهو ما يلاحظ من عبارات النحاة في تعريفهم لكل قسم من هذه الأقسام، كما في "الاسم ما دل على مسمى والفعل ما دل على حدث وزمن والحرف ما ليس كذلك"[4]. وإن " التفريق على أساس من المبنى فقط أو المعنى فقط ليس هو الطريقة المثلى التي يمكن الاستعانة بها في أمر التمييز بين أقسام الكلم فأمثل الطرق أن يتم التفريق على أساس من الاعتبارين مجتمعين فينبني على طائفة من المباني ومعها (جنبا إلى جنب فلا تنفك عنها) طائفة أخرى من المعاني"[5].

وانطلاقا مما سبق حاول تمّام حسان التفريق بين كل قسم من أقسام الكلم وآخر وفق فوارق صورية هي (الصورة الإعرابية، الرتبة، الصيغة، الجدول، الإلصاق، التضام ، والرسم الإملائي) وفوارق معنوية هي (التسمية، الحدث، الزمن، التعليق، والمعنى الجملي)، وكانت نتيجة ذلك أن اقترح تقسيما جديدا للكلم قال بأنه يستخدم أكثر اعتباري المبنى

[1] المصدر نفسه، ص 84.

[2] المصدر نفسه، ص 84- 85.

[3] محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي (د ت)، متن الألفية، لبنان: المكتبة الشعبية، ص 2.

[4] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 87.

[5] المصدر نفسه، ص 87.

والمعنى، فنجد في هذا التقسيم الذي عدّل به تقسيم النحاة للكلم مكانا مستقلا لقسم جديد هو الصفة، وكذا الضمير، والخوالف، حيث استعار مصطلح الخالفة، كما ذكر، مما رواه الأشموني عن الفرّاء من أنه كان يسمي اسم الفعل « خالفة ». كما نجد في هذا التقسيم الجديد مكانا خاصا للظرف، كما توسع في فهمه للأدوات "فترى الحروف منها أدوات أصلية وترى غيرها أدوات محولة كالظروف التي تتصدر جملة الشرط أو الاستفهام وكالأسماء النكرات التي تستعمل لإبهامها استعمال الحرف وكالنواسخ الآتية على صور الأفعال ولكنها تستخدم لنقصها استخدام الحروف وهلم جرا"[1].

3.2 الدلالة النحوية:

وهي تبرز من خلال علاقة علم الدلالة بعلم النحو، وهي علاقة بيّنة، بدليل اختلاف المعنى لمجرد تبادل الفتحة والضمة في قولنا: ضرب زيدٌ عمرًا، وفي قوله تعالى:آ ﴿آ ***وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ*** ﴾البقرة: ١٣٢

حيث قرئت أيضا (ويعقوبَ)؛ ففي الأولى أوصى يعقوب بنيه كما فعل إبراهيم عليهما السلام، أما في الثانية فكان يعقوب ممن أوصاهم إبراهيم، ودليل ذلك كله العلامة الإعرابية التي تعد رمزا مهما من رموز المعنى، ودالة من دواله، فضلا عن الدلالات النحوية الأخرى من تقديم وتأخير ووصل وقطع وذكر وحذف[2]. فهناك علاقة تربط بين المعنى الدلالي والوظيفة النحوية لكل كلمة داخل الجملة، فدليل ذلك تغير المعنى في جملة ما نتيجة لتغيير مكان الكلمات فيها، فلولا ذلك ما كان فرق في الدلالة بين الجمل التالية:

- الثعلب السريع البني كاد يقتنص الأرنب.
- الثعلب البني الذي كاد يقتنص الأرنب كان سريعا.
- الثعلب السريع الذي كاد يقتنص الأرنب كان بنيا.

[1] المصدر نفسه، ص 89.

[2] ينظر: سعد محمد سعد، في علم الدلالة، ص 18.

فدلالة الجملة الأولى ترتكز على اقتناص الثعلب للأرنب، أما الثانية فكانت مرتكزة على سرعة الثعلب، ودلالة الثالثة ارتكزت على لون الأرنب. وما دلنا على ذلك إلا الجانب النحوي[1]. وهو ما جعل رجب عبد الجواد إبراهيم يعتبر الدلالة فرعا من النحو، "لأن جملة مثل: خرج محمد من المنزل صباحا بغير إفطار، هذه الجملة تمثل أمرين: معنى تاما وعلاقات نحوية سليمة. أما قولنا: من خرج إفطار بغير صباحا المنزل محمد، فإن هذه الجملة لا تنبئ عن معنى، ولكنها بمجرد أن ترتب ترتيبا نحويا سليما، يوضع فيه الفعل مجاورا للفاعل وحرف الجر لصيقا للمجرور، هذه الكلمات ما إن يتحقق لها سلامة النحو حتى يأتي المعنى بالضرورة واضحا(...) كل هذا يؤكد لنا الصلة القوية التي تربط بين النحو والدلالة"[2].

أما تمّام حسان فقد أقام تحليله لهذه الدلالة من خلال تطرقه للمستوى النحوي، وقد أسس تناوله هذا على فكرة التعليق التي استقاها من عبد القاهر الجرجاني. وقد استهل تحليله للنظام النحوي في العربية بالتذكير بما ينبني عليه وهو[3]:

1- طائفة من المعاني النحوية العامة التي يسمونها معاني الجمل أو معاني الأساليب.

2- مجموعة من المعاني النحوية الخاصة أو معاني الأبواب المفردة.

3- مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها.

4- ما يقدمه علما الصوتيات والصرف لعلم النحو من قرائن صوتية أو صرفية.

5- القيم الخلافية أو المقابلات بين أفراد كل عنصر مما سبق وبين بقية أفراده.

وبعدها تطرق إلى إشكال وقعت فيه متون القواعد حيث اشتملت على مزيج من الصرف والنحو فصعب بذلك تقديم ما للنحو للنحو وما للصرف للصرف، وقد أرجع ذلك إلى أن

[1] ينظر: عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والمعجم، ص.ص 17- 18.
[2] المرجع نفسه، ص 18.
[3] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 178.

النحو لا يتخذ لمعانيه مباني من أي نوع إلا ما يقدمه له الصرف. ويمثل لهذه القضية ببيت من ألفية ابن مالك يقول فيه:

وَتَاءُ تَأْنِيثٍ تَلِي المَاضِي إِذَا كَانَ لِأُنْثَى كـ:" أَبَتْ هِنْدُ الأَذَى

فيقدم شرحا له من منظورين: صرفي على النحو التالي:

المعنى	المبنى	العلامة
التأنيث	التاء على إطلاقها	التاء في أبت

وكذا نحوي كما يلي:

المعنى	المبنى	العلامة
المطابقة بين التأنيث والفعل والفاعل	التاء على إطلاقها	التاء في أبت

ومنه يصل بنا إلى استنتاج أن ما للصلة بين المعنى النحوي والمبنى الصرفي والعلامة منطوقة أو مكتوبة تتمثل فيما يلي:

- أن جميع ما نسميه المعاني النحوية هو وظائف للمباني التي يتكون منها المبنى الأكبر للسياق.
- أن المباني المتعددة في السياق هي مفاهيم صرفية لا نحوية.

- أن العلامة المنطوقة أو المكتوبة ليست جزءا من نظام الصرف أو نظام النحو ولكنها جزء من الكلام[1].

ويوضح ذلك بالشكل التالي:

المعنى	المبنى	العلامة
وظيفة للمعنى	شكل مطلق	نطق بعينه أو كتابة بعينها

3 البنية الملفوظية والسياق:

لا يخفى على متصفح كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) تأثر مؤلفه بالمناهج الغربية الحديثة في دراسة اللغة، وقد تجلى ذلك أكثر واتضح للعيان عند تناوله لجانب الدلالة في الفصل الثامن والأخير من كتابه.

ففي تطرقه للحديث عن الدلالة في كتابه، يربط تمّام حسان المعنى في هذا المستوى بفكرتي المقام والمقال "باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة"[1].

ولكننا نجده قد أولى اهتمامه في هذا الصدد أكثر بجانب المقام لكونه "المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر وهو الأساس الذي ينبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداة «المقال»"[2].

كما نجده من خلال سوقه لأمثلة يفرق فيها بين ما يسميه المعنى المقالي والمعنى المقامي يقرر مع ذلك أن المعنى الدلالي يعتمد على هاتين الدعامتين، ومنه يكون:

المعنى الدلالي[3]

المعنى المقالي	**المعنى المقامي**	وهو مكون من المعنى الوظيفي+
المعنى	وهو مكون من ظروف أداء المقال	
المعجمي وهو يشمل القرائن المقالية		وهي التي تشتمل على القرائن
كلما وجدت		الحالية (وكل ذلك يسمى المقام)

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 337.
[2] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 337.
[3] المصدر نفسه، ص 339.

فللوصول إلى المعنى في صورته الكاملة، حسب تمام حسان، لا بد من الإلمام بتحليل المعنى الوظيفي أي الاعتماد على ما تقدمه لنا فروع الدراسة اللغوية وهي الصوتيات والصرف والنحو، مضافا إليها العلاقات العرفية التي نجدها في المعجم (المعنى المعجمي). ويربط ذلك كله بالعنصر الاجتماعي الذي يتمثل في المقال، وهذا العنصر الاجتماعي، كما اعتبره الدكتور تمّام، "ضروري جدا لفهم المعنى الدلالي فالذي يقول لفرسه عندما يراها «أهلا بالجميلة» يختلف المقام معه عن الذي يقول هذه العبارة لزوجته فمقام توجيه هذه العبارة للفرس هو مقام الترويض وربما صحب ذلك ربت على كتفها أو مسح جبينها. أما بالنسبة للزوجة فالمعنى يختلف بحسب المقام الاجتماعي أيضا فقد تقال هذه العبارة في مقام الغزل أو في مقام التوبيخ أو التعبير بالدمامة. فالوقوف هنا عند المعنى المعجمي لكلمتي «أهلا» و «الجميلة»، وعلى المعنى الوظيفي لهما وللباء الرابطة بينهما لا يصل بنا إلى المعنى الدلالي ولا يكون وصولنا إلى هذا المعنى الدلالي إلا بالكشف عن المقام الذي قيل فيه النص"[1].

والمقام الذي تحدث عنه تمّام حسان على هذا المستوى هو "مجموع الأشخاص المشاركين في المقال إيجابا وسلبا ثم العلاقات الاجتماعية والظروف المختلفة في نطاق الزمان والمكان وهو بهذا يختلف بعض اختلاف عن فهم الأولين اللذين رأوه حالا ثابتة ثم جعلوا البلاغة مقتضى الحال"[2]. وهذا المقام يستخرج مما أسماه بنسيج الثقافة الشعبية وذلك من شقين "زمانيا في تطورها من الماضي إلى الحاضر إذ يرثها جيل عن جيل فتكون عنصر ربط بين هذه الأجيال ومن ثم تكون الضمان الوحيد لاستمرار المجتمع في التاريخ. ثم مكانيا حيث يترابط بها أفراد الجيل الواحد من هذا المجتمع ما دام كل منهم قد نشأ في خضم هذه الثقافة وجعل منها منهجا لحياته في المجتمع أو بعبارة أدق جعل منها مجرى لسلوكه لا يملك التحول عنه حتى إنه ليتصرف في ظرف بعينه تصرفا بعينه وكلما تكرر الظرف تكرر التصرف معه"[3].

كما نجده هنا يشرح المقصود من الثقافة الشعبية التي يؤخذ منها المقام فهي ليست "معنى يرتبط بالتعليم والتثقيف وإنما المقصود بها هنا ما يشمل مجموع العادات وطرق السلوك والتقاليد والمعتقدات والخزعبلات والفلكلور الشعبي والأحاجي ووسائل التكسب

[1] المصدر نفسه، ص 343.

[2] المصدر نفسه، ص 351.

[3] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 351.

والعواطف الجماعية والنظرة الجماعية إلى الأحداث والأشياء"[1]. ومن هنا و"بحسب هذا الفهم الشامل لفكرة «المقام» يعتبر النص «المقال» - منطوقا كان أو مكتوبا- غير منبت عمن ساقه ومن سيق إليه. ولو أننا حاولنا فهم المقال منفصلا عن المقام لجاء فهمنا إياه قاصرا مبتورا أو خاطئا"[2].

وفي ختام حديثه عن المستوى الدلالي، تطرق تمام حسان إلى شرح الطريقة التبويبية التي يمكن بها تبويب المقامات في إطار الثقافة الشعبية، وقد لاحظ أن هذا التبويب ينبني على أسس هي:

- دور الفرد في المجتمع.
- دور الفرد في الأداء.
- غاية الأداء.

وأردف ذلك بتفصيل القول في كل واحد من هذه الأسس على حدة[3]. ليقرر في النهاية بحقائق منها[4]:

- إن البلاغيين حين ساقوا عبارتي «لكل مقام مقال» و«لكل كلمة مع صاحبتها مقام» وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية الفصحى فقط وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على حد سواء.
- إن مالينوفسكي وهو يصوغ مصطلحه (context of situation) لم يكن يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها.
- إن مفهوم المقام الذي ساقه العرب في كتبهم لم يلق الرواج الذي وجده مصطلح مالينوفسكي لفارق في النفوذ.

[1] المصدر نفسه، ص 351.
[2] المصدر نفسه، ص 351.
[3] المصدر نفسه، ص 356-372.
[4] المصدر نفسه، ص 372.

- إن العبارة التي ساقها النحاة «الإعراب فرع المعنى» هي الأخرى من جوامع الكلم ولا تقل عن سابقتها في الأهمية، وذلك عند فهم الإعراب بمعنى (التحليل)، لأن كل تحليل لا يكون إلا عند فهم المعنى الوظيفي لكل مبنى من مباني السياق.

وبذلك يكون هذا الاتجاه هو "الصحيح والضروري في الكشف عن المعنى. وهذه هي الاعتبارات المختلفة التي ينبغي أن تراعى في تشقيق المعنى، وإن تطبيق هذا المنهج في الكشف عن المعنى ينبغي أن يصدق على النصوص المنطوقة ذات المقام الحاضر الحي كما ينبغي أن يصدق على النصوص المكتوبة ذات المقام المقتضي والذي يمكن أن يعاد بناؤه بالوصف التاريخي. ومن هنا تأتي قيمة هذا المنهج لدراسة كتب التراث العربي. وإن الاكتفاء بالمعنى الحرفي أو معنى المقال أو معنى ظاهر النص يعتبر دائما سببا في قصور الفهم"[1].

ومن خلفية هذا التأثر بالمناهج الغربية، تصدى تمّام حسان لدراسة العربية الفصحى في محاولة لإعادة قراءة التراث العربي وفق هذه المناهج، ولقد كان أكثر تأثره بالعالم الإنجليزي فيرث حتى إن "فكرة المقام عند الدكتور تمّام هي نفسها فكرة المقام عند فيرث بعناصرها المختلفة، الذي صاغ من فكرة السياق نظرية قد تلتقي في بعض جوانبها مع آراء القدماء، لكلنها بلا شك تختلف من حيث التنظير والتطبيق مما جعل منها نظرية لغوية كاملة في دراسة المعنى بما له من صلة بالمبنى"[2].

فكانت هذه بحق أجرأ محاولة جرت في العصر الحديث لتطبيق المنهج الوصفي على اللغة العربية، فهي "أول دراسة تطبيقية للمنهج البنيوي الوصفي، لا أقول على اللغة العربية، وإنما على الدراسات اللغوية العربية، أو هي كما قال الدكتور تمام حسان، محاولة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية التقليدية من خلال المنهج الوصفي، أو بمعنى أدق من خلال نظرية فيرث مع اقتباس بعض المفاهيم والمصطلحات وطرق التحليل من المدارس الوصفية الأخرى، مثل مدرسة براج وغيرها"[3].

خاتمة:

[1] نفسه، ص 372.

[2] حلمي خليل (1996م) ، العربية وعلم اللغة البنيوي، مصر :دار المعارف الجامعية، ص 240.

[3] نفسه، ص 240.

كان ما سبق عرض لأهم القضايا الدلالية التي جاءت في كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) لتمّام حسّان، إذ أفضى البحث إلى النتائج التالية:

- أن كتاب (اللغة العربية معناها ومبناها) يعد محاولة جادة لوصف اللغة العربية بالاعتماد أساسا على المزاوجة بين جانبي المعنى والمبنى.
- أن الدلالة –التي هي غاية الدراسات اللغوية- تكمن في المستويات اللغوية جميعها: الصوتي، والصرفي، والتركيبي، والمعجمي.
- حاول تمّام حسّان في كتابه أن يقدم وصفا جديدا للغة العربية وفق المناهج الغربية، خاصة منهج أستاذه فيرث.
- ضرورة الاهتمام بالجانب الدلالي في اللغة، وأن كل دراسة للغة يجب أن تراعي هذا الجانب، وتتخذ منه هدفا أساسيا لها

المراجع المعتمدة في البحث:

1- تمام حسان، إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، ضمن أعمال ندوة اللسانيات واللغة العربية، تونس: مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية ، 1978م.

2- عبد الرحمان حسن العارف، تمام حسان رائدا لغويا، الطبعة الأولى، القاهرة: عالم الكتب،2002م.

3- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الطبعة الثالثة القاهرة: عالم الكتب،1998م.

4- محمد سعد محمد، في علم الدلالة، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق،2002م.

5- خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، الطبعة الثانية، العلمة-الجزائر: بيت الحكمة،2012م.

6- رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والعجم، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،2001م.

7- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، الطبعة الرابعة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1980م.

8- حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، مصر :دار المعارف الجامعية، 1996م.

9- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الشروق، 1973م.